

*Litrix.de*

GERMAN LITERATURE ONLINE

مقتطفات مترجمة من كتاب

**Feridun Zaimoglu**  
**Zwölf Gramm Glück**  
**Erzählungen**  
**Kiepenheuer & Witsch Verlag**  
**Köln 2004**  
**ISBN 3-462-03362-X**

الصفحات: من 84 إلى 91 ومن 105 إلى 121

**فريدون زايموغلو**  
**اثنا عشر غراما سعادة**  
**قصص**  
دار كيبنهاور أوند فيتش للنشر  
كولونيا 2004  
ISBN-3-46203362-X رقم الإيداع

ترجمة: أحمد فاروق

© Litrix.de 2004

فريدون زايمو غلو  
إثنا عشر غراما سعادة  
قصص

دار كيبنهاور أوند فيتش للنشر  
كولونيا 2004

إهداء

إلى لولو داكار

الدنيا

## دعاء (1)

طلبني إلى مقهى بحي كرويتسبرغ ووعدني بحكاية، علي أن استفيد منها في حدود الأدب. جاءت مكالمته في وقت غير مناسب، كنت أريد استغلال يوم الإجازة للبقاء في المنزل ومشاهدة أفلام الفيديو. لكنه لم يقبل بتأجيل الموعد لوقت آخر. ابنة خالته، حسبما أفصح لي، "معجبة جدا" بشاب محترم، لكنها كمسلمة متدينة لا تستطيع الدخول في علاقة حب عادية. كتاب الله يأمر الشابات والشبان بالعفة. قلت له بلا تردد، إنني لم أسمع أبدا "بخاطبة" رجالي. كان الأمر جادا بالنسبة له، ولم أرغب في رفض طلبه، تواعدنا عصرا في مقهى يرتاده شباب من الأتراك الوصوليين. يجلبون معهم صديقاتهم ويتصرفون مثل حديثي التخرج من البرجوازية المتعلمة، الذي تعلموا ألا ينظروا لشفاة المرأة عندما تتحدث، بل إلى عينيها. في بقعة السلوكيات الحميدة المعزولة تلك يأتي أيضا أزواج من العشاق الألمان. يتخلص الألمان في الأوساط الغربية من توترهم بسرعة ملحوظة، وسيظل هناك لغز يحيرني، وهو كيف أن مجرد النظر إلى سلطة الرعاة الباردة العادية يخلق هذا المزاج الرائق.

أتي قبل الموعد وأجلس دون أية أحاسيس ضخمة في مكاني. تنتقل النادل بالمريل البيضاء من مائدة إلى أخرى ويسعدن بالدخول في دردشات مع الزبائن. بجوار النافذة تجلس امرأة ذات جمال خاص وتعيد ضبط زينتها بقلم الحواجب، تتلقى نظراتنا، وتضحك مني، وترشف من شايفها الذي أسقطت فيه قطعة سكر. أقول لنفسي، ربما سأتمتع بمزاج طيب أثناء هذا النهار، ومن فرط غروري ألتقط عملة من جيب بنطلوني وأبقياها متوازنة على سبابتي. وعند رفعي لرأسي أجد عثمان واقفا أمامي. يتمتع بموهبة التسلل بلا صوت أو الاختفاء المفاجئ. نصافح بعضنا بطريقة قديمة معتادة ونختم مصافحة الأيدي بالعناق. أريد أن أعرف منه حال أعماله وإن كانت الأوضاع قد هدأت مع العاملين لديه في محل تأجير أشرطة الفيديو. المدخول هزيل، ولم يعد هناك من يستعير الأفلام التركية والعضوية في نوادي الفيديو الأكبر حجما أكثر جاذبية. وفي المقابل يسألني عن نسبة مبيعات كتبي وأعده أن أقنع دار النشر أن ترسل له مجموعة من الكتب لعرضها للبيع لديه. يجد تلك فكرة رائعة، أن توضع كتبي بجانب الخزينة، بالتأكيد ستبيع بشكل أفضل من المكتبات. يريد كلب تشم بنطلونه، لكنه يركله في جنبه ولا يهتم بنظرة صاحبه الغاضبة.

إنها حيوانات نجسة. لا تدخل الملائكة البيوت التي يسكنون فيها. لا أعتقد أن الكلاب ستعيق الملائكة عن عملها.

نبينا، صلى الله عليه وسلم، قد أرشدنا إلى تجنب الجلوس في أماكن بها كلاب. إذا ما احتك بك أي كلب، عليك أن تتوضأ مرة أخرى للصلاة. الكلب عبارة عن كيس مليء بالبراغيث ويملأك بالأمراض.

- عثمان، أنت تعيش في البلد الخاطي

- لدي الانطباع نفسه

تدرجيا امتلأ المكان بأزواج من الشبان والشابات، إنها ساعة الغرام كما يسمونها، أي أن الرجل ينبغي أن يخرج وفقا للون ظلال الغسق: فإن أمكن تبيين الخيط الأبيض من الخيط الأسود بعد لأي، فهذا يعني أن قلوب النساء لديها قابلية خاصة لتقبل الأدعية. عند نظري إلى هذا الشرقي الجاحد أشعر للحظة أن نهايتنا جميعا سيئة. ربما كان مزاجي سيئا لمجرد أن هذا

الشخص العنيد المعتقد في نهاية العالم، يجلس أمامي ويظن أن الكلاب لا بد أن ترجم لأسباب تتعلق النظافة والوقاية الصحية.

- إذن ابنة خالتك مغرمة بشخص، وأنا سعيد من أجلها. لكن ماذا تريد هي مني؟  
- عليك أن تفكر في اختيار الكلمات المناسبة وترسل خطابا إلى الشاب. تريد أن يعرف الشاب عن حبها له. لكن هذا طبعا يجب ألا يشجعه على أن يفسح المجال لحريات معينة! هذا النوع من الحب يعد لدينا نذير شؤم.  
- ماذا يعني ذلك؟

- لا جنس، ولا تقارب جسدي. ابنة خالتي تعول على أنك ستبين للشباب قاعدة هامة وهي أنه لا يمكن المساس بها، حتى تتعرف على الرجل المناسب.  
- إذن فهو ليس بالضرورة حبها الكبير.  
- لا، لا أعتقد.

- لماذا لم تأت ابنة خالتك معك وأرسلتك أنت؟

- إنها ليست فتاة بوجه مكشوف.  
- رددت بسرعة، لم أدع ذلك، لكنك يجب أن تسلم بأننا في موقف غريب. رجلان يركزان سويا أفكارهما لكتابة رسالة لرجل ثالث- العاشق الذي ليس بعاشق- عن الحب العذري الذي تضمه له امرأة. هذا ما يمكن تسميته صورة جماعية بدون امرأة.  
- ابنة خالتي فتاة محتشمة.

- أنا متفق معك على ذلك، ولن يخطر ببالي أي شك في هذا. كان بإمكان ابنة خالتك أن تكلف إحدى صديقاتها بدور مراسل الغرام.  
يقول عثمان، تغيرت الأزمان، والنساء تحب الثرثرة، ستنشر الإشاعات بسرعة. إنها تثق في وفيك أيضا يا صديقي بشكل كبير.  
أقول، سأحفظ السر.

في الحقيقة أرغب في الصراخ قائلا بأنني لا أريد أن أستغل لصالح امرأة، إن لم تخني الذاكرة، لم أرها سوى مرة واحدة في حياتي. دعاني عثمان إلى بيته في عيد الأضحى، والداه أميان، وكان الهدف من الزيارة أن يتعرفا على كاتب حقيقي، يسمعا مني أنه من الممكن أن يكسب جيدا من أعمال أخرى وليس فقط كأسطى ميكانيكي أو عامل على السير الناقل في المصانع. كان المنزل مليئا بالأقارب من ناحيتي الأب والأم، كان الأطفال في هرج ومرج وطلب منهم أن الهدوء ولكن بشكل غير حاسم. مددت يدي لأصافح ابنة خالة عثمان، نظرت هي في الأرض وأحسست وكأني مثل القمامة. في أوساط المسلمين المتشددين دينيا لا تجوز مصافحة النساء. وقد أوضحت هي لي بأن الكيان الحيواني للرجل مثير للغرائز، ولهذا ارتدت هي الحجاب بعد حياة مليئة بالذنوب، وقبلت الاستغناء التام عن الغرائز. تحولت إلى التشدد، لأنها أرادت أن تتخلص من الزيف الداعر وأن تفسر إشارة الله. كان للكلمات صدى شعري، وأنداك طبعت كلماتها بدقة في ذاكرتي، ولأنها وجدت آذانا صاغية، حكمت لي أيضا أنها قامت بزيارة إلى ولي صالح وقامت بربط قصاصات من القماش على شاهد قبره وعقدتها عدة عقد. لأن لروح الإنسان الغارق في المعاصي رائحة كريهة كدم الكلب، ولأنها شعرت بأن هذا هو حالها، فقد قررت أن تقوم بحل جذري: ترك الجسد والذهاب إلى الله!

- قال عثمان، هل ستصنع فينا هذا المعروف؟ لا أرغب في أن أدفعك للعجلة.
- ماذا تعرف عن الشاب؟
  - يسكن في الشارع نفسه الذي تسكن فيه ابنة خالتي. يريد أن يحصل مركزا كبيرا، يدرس التجارة ويواظب على مواعيد الدراسة النظامية.
  - يعني صمّام
  - ليس بالضرورة. إنه لا يريد أن يلحق بذيل أبيه. أو هل تجد في تحطيم نفسك بالعمل في ورشة تركيب، شيئا تقديما؟
  - هناك شيء من الصحة في كلامك. كيف تعرّف الاثنان على بعضهما؟
  - لم يتعرفا قط. ربما تبادلنا نظرات تبوح بالكثير. بنت خالتي متأكدة من أنه لسع باللهيب نفسه أيضا. وجهه يحمر خجلا عندما تتحدث إليه النساء.
  - يا صلاة النبي!
  - إضافة إلى ذلك، ليست لديه صديقة، لقد استعلمت عن ذلك.
  - عثمان، أنت تعرف أنني اعتبر الطلبة الخجولين ضيقي الأفق. ألم تستطع ابنة خالتك، مع احترامي الكامل، أن تختار رجلا أكثر نضجا؟
  - أنها تريد الرومانسية...
  - ونحن أيضا.
  - لكنها وقعت في غرام هذا المبتدئ. إنها تقول إن الرجل يجب ألا يفقد عذريته مع أول أنثى غانية يتعرف عليها. الغواني يعشن في الخطيئة، سواء كن رجالا أو نساء.
  - إنها تتعجل باتهام هذا الإنسان أو ذاك بالمعصية.
  - تأخذ الحكاية منعطفا غير مريح. تمنيت أن تجلس ابنة خالة عثمان أمامي وأن يكون باستطاعتي أن أصرخ في وجهها. وأقول لها بأنها فتاة مترممة تسبح في لعاب الشياطين، أكثر من اتباعها لتعاليم الله. لكنها لن تفهم مثل هذا الكلام وستبحث في كتالوج الخطايا لتتعتني بأنني لا أفرق بين الخير والشر.
  - ماذا لو كتبنا: نظراتك تخترقني حتى العظم والنخاع. أنا أعرف أنك تحبني وأشعر تجاهك بمشاعر مشابهة. نريد أن نلتقي، لكنني لا أستطيع أن أعدك بالمزيد من بعد.
  - يقول عثمان، هذا لا ينفع، لا بد للكلمات أن تخلب لبه، وأن تكون الرسالة أكثر هارمونية.
  - هارمونية؟ هل نصنع للشباب المسكين فحشا! إنها تطلب منه أن يسعد بمصير خصي الحر ملك. أعتقد أن ابنة خالتك تريد أن تتعذب بالأشواق، لقد قرأت كثيرا من الروايات العاطفية الرخيصة.
  - إنها لا تعجبك!
  - يا عثمان، قل لي بصراحة، كيف يمكن لك أن تتصرف لو كُلفت بهذا المهمة الوريعة؟
  - حب تحكمه قاعدة عدم تلامس الأجساد، والطرفان يكتبان لبعض القصائد، ويتكلمان بصورة ملغزة، حتى لا يخطر ببال أحدهما أفكار مشينة. ماذا يمكن لك أن تفعل؟
  - كنت سأجن، وقلت لها ذلك.
  - وبعد؟
  - إنها ترى أنها ما كانت لتختفي داخل جسدها، وأن على الرجال وليس النساء أن يروضوا أنفسهم. قالت إنها تريد أن تنتقم من الرجال لأنها بسببهم توجب عليها أن تغطي شعرها وبسببهم لا تستطيع وضع طلاء أظافر ملفت.

- لا ذنب للشباب في ذلك، فكما وصفته لي لن يمانع في أن تسير هي بلا حجاب.
- هذا هو الوضع الآن، إنها تخشى أن تفقد احترام أصحاب الفضيلة، لو خلعت الحجاب. إنها في وضع مميت.
- أنا أحب كتابة الرسائل الغرامية، وخطابات الالتماس إلى المصالح الألمانية. لكن أن أجمع النوعين في رسالة واحدة، فهو أمر غير ممكن.

- عقد عثمان ذراعيه على المائدة وبدا أنه يتأمل في كلماتي. في النهاية توصل إلى قرار.
- سأقول لابنة خالتي إنك تريد معلومات منها مباشرة. وإذا أصرت على هذا الخطاب الغريب، نجتمع ثلاثتنا. ربما نلتقي في المرة القادمة عندي، فتلك أرض محايدة ولن تخطر ببال أبيها أية أفكار خاطئة.
  - سيكون هذا مناسباً لي.
  - بالتأكيد أنها أما ستتخلى عن حبها أو سيتضح لها أنها ينبغي أن تتحدث إليه شخصياً.
  - وماذا لو كان الشاب قد وقع في غرامها؟
  - عندئذ يكون حظه سيئاً، والحظ السيئ سيجعله ناضجاً، وستستفيد صديقته القادمة من ذلك. فيما بعد يمكنه أن يفخر، بأن امرأة خيرت بين الله والحب، قد هجرته. بهذا يمكن أن تزيد قيمته بين النساء وأن يتحول نحسه إلى حظ سعيد. في الواقع إنه في وضع يحسد عليه.

الآخرة

## جلود

تاجر العاديات ليس سوى جلد على عظم. يفرك ظهر يده في موضع هرش، ربما يمسه فقط. يمد كلب خطمه عبر الأشرطة البلاستيكية للستار الواقي من الذباب. يضع تاجر العاديات يده في دلو بجانب المقعد ويلقي بحفنة من الحصى في اتجاه الكلب، الذي ينفض فروه على إثر ذلك ويهرب عاويًا. أعيذُ الشمعدان النحاسي إلى مكانه وأصطدم في هذه الأثناء بعلبة منتفخة. ينفصل عنها الغطاء ويدور مصلصلا على الأرض. النادل الصبي يحمل بتوازن كوبين من الشاي الأخضر على صينية ولا يرفع رأسه إلا عندما يقف أمام الرجل العجوز. يمسك تاجر العاديات بالطبق أسفل الكوب بكلتا يديه، ويمد فمه ويرشف رشفة. بإيماءة منه توجه الصبي إلي، أخذ يحملق في شعري الطويل، ثم مرقت نظرتي إلى أظفري غير المطلية. الأطفال معروفون هنا بأنهم يتجمعون عند طريق الخروج من المنطقة ويطاردون الغرباء الذين يعطون إحياءً بالأنوثه. ذات مرة أودى حجر خرج من مقلع أحد الأطفال بحياة رجل طويل الشعر. يُسمى الغرباء في لغتهم الريفية الرصينة "أجساد دمي محشوة". يجمع الصبي فناجين القهوة الفارغة من الطلب الأول ثم يعدل وضع عقب القلم الرصاص خلف أذنه وينصرف وهو يجر جر قدميه في شبشب حمام كبير.

نحن في انتظار زوجة تاجر العاديات، إنها تحدد الأسعار، وتحصل النقود. ووظيفة زوجها أن يسري عن الزبائن في وقت انتظارهم. هيكل آدمي متكلم. يشير إلى الفطائر الكثيرة السكر تحت الغطاء السلكي، أهز رأسي رافضًا. أضع الكوب على المائدة الصغيرة المجاورة وأقف، ثم أهبط على ركبتي وأتحسس ملاءة عرس مفرودة على سجادة. قال تاجر العاديات إنهم حصلوا على الملاءة من فلاحه طاعنة في السن مقابل عمولة، وهي قد ورثتها عن جدتها من جهة الأب. التجارة لحساب الغير ستكون مربحة لتاجر العاديات وزوجته، أنا متأكد من أن المبلغ الذي يضيفانه على السعر، يمثل ثلثي الثمن الأصلي. تُظهر ملاءة الليلة الأولى بقعة بنية فاتحة، دماء فقد العذرية هي خاتم الأصالة. تتسلق نباتات خيالية على الأطراف الطولية والعرضية المحيطة بملاءة آدم وحواء، ويمكن رؤية غزاة صغيرة بلبدة أسد ترقد بجانب أسد وتمد حافريها الأماميين. أسطورة قديمة مطرزة على قماش يشبه في ملمسه الأنسجة التي تغلف الذنابات والجروح. طلب تاجر العاديات ألف دولار ثمنًا للملاءة، وقد أفقدني الأمل في إمكانية الفصال والمساومة مع زوجته، "قديسة القرية". استلقي على المقعد الخيزران وأشرب الشاي الأخضر المر، الذي حُذرت منه. يملئون مصفاة في حجم قبضة بأوراق الشاي ثم تقدم أول أربع صببات منه بسكر خفيف. يؤلم هذا الخمير المر معدتي، أشربه دفعة واحدة لأنني أعرف أن هذا الشاي الأخضر المركز يقدم هنا للرجال الغرباء بمثابة اختبار لرباطة جأشهم.

تقوم يد بالفصل بين أشرطة الستار الواقي من الذباب وفي اللحظة التالية على ذلك مباشرة تقف امرأة ضخمة وسط المكان. يستوعب فستانها كل الملامح البارزة والغائرة من لحمها وينتهي عند كاحل القدم بشراشيب. وقد وضعت على كتفيها شالا من القטיפه. واستخدمت حبل ستارة متسخ كحزام. يقف الرجل العجوز بتكلف، أن الأوان لترك الساحة للسيدة. أسلط نظرتي على المرأة، إنها معتادة على تلك النظرات ولا تحرك ساكنا. شفقتها السفلى كلها

موشومة، وكأنها غُمست في حبر. وعلى ذقنها أكتشف حربة ثلاثية مقلوبة بأنصال غير حادة، علامة الوقاية التي يفترض أن تبعثر كل المساوي في اتجاهات الرياح الأربعة. أسفل إبهام يدها اليسرى يبرز وشم موجود أيضا لدى تاجر العاديات وهو عبارة عن دائرة يخترقها سهم تشير رأسه إلى الداخل. لقد أفضى لي الرجل العجوز بمعنى هذا الرمز وحرص أثناء ذلك بدقة على رؤية إن كان وجهي سيحمر خجلا مما يقول: هذه العلامة ترمز إلى الذكر المتوغل كلية في الفرج وإلى البويضة المبللة بالماء الذكوري. ورأس السهم الموجهة إلى الداخل تعكس رغبة الأم في نسل ذكوري. فالبنات هنا تُعطى لأخرين، وتحمل اسم عائلة أخرى، البنات هي فم بلا نفع، يُطعم حتى يصبح ناضجا للقبول. لا يتوقع الإنسان من بناته شيئا حسنا.

تقول المرأة، كثيرا ما يأتي إلينا الزوار، وقد كثر الحديث عن أن الشخص الذي يعيش محاطا بوثائق تاريخية يصبح أكثر سعادة. تتطرق بكلمة وثنائق تاريخية وكأنها تريد أن تبصق بعلكة قديمة. أثناء وقوفها تضع لفافة تبغ في ميسم سيجارتها المصنوع من الصدف، وتشعل عود ثقاب من مشط كبريت منفصل ثم تترك لهبه تحت السيجارة المعوجة. بعد نفس عميق من السيجارة تجلس على خزانة عرس. يتقلص تاجر العاديات في حضرة زوجته ليصبح قزما أحذب، يعجن ويفرك في يديه، ولأنه لم يتلق أية تعليمات، يقرر أن يقف أمام المحل ليرى إن كانت كل الأمور على ما يرام. لم يحن بعد غسق الكلاب، وليس على أحد أن يخشى أن تفكر هذه الحيوانات الجائعة من الانطلاق إلى وسط القرية في هذا الوقت. لكن تاجر العاديات يغضب لرؤيته خطم الكلب الأسود، ويمسك بشوكة للمواشي كانت معروضة أصلا للبيع، تنتظر زوجته باتجاهه، وتقول:

هل قال لك السعر؟

- ألف دولار، لا أستطيع أن أدفع كل هذا المال. يمثل هذا المبلغ ساعيش ثلاثة أشهر.

- الإيجار دون حساب النفقات الجارية.

- طبعا، أنا أعني فقط النفقات المنزلية.

- ماذا تستطيع أن تدفع إذن؟

- ثلاثمئة وخمسين، هذا هو أقصى ما أستطيع دفعه.

- قليل جدا، أنظر حولك، والنقط وثيقة تاريخية أخرى. مالك سيجعلك سعيدا في دكاني.

تُلقي بطاقة يرنديها المذنبون أكلتها حشرات العث، على ملاءة العرس، وكما أكدت لي، فإن الطاقة كانت لأحد الزهاد، التجأ إلى الغابات، كان يضعها دائما على رأسه عندما يذهب إلى القرية. لم يتمكن من التغلب على احتقاره لذاته عن طريق الانزواء، وكان يصرخ في حفرة، ويصرخ، حتى أن صراخه المجنون قد جعل الكلاب المتوحشة تهرب، ظل يصرخ حتى قضى نحبه، وأرسل كبير القرية في ذلك الحين في طلبها، هي "قديسة القرية"، وهكذا لملت تتورتها وأمسكت بحدبة أنفها، لأن عين الروح الثالثة تجعل سوائل الرأس تتدفق، تخلصت من ثرثرة زوجة الابن، بوضعها لأصابع يدها اليمنى الخمس على وجهها، إشارة منها إلى أنها فقدت احترام "قديسة القرية": سعدت المنحدر الذي وهب القرية اسمها، وخطت من صخرة إلى أخرى، وتفاقت الفخاخ التي يصنعها شباب فاسد عاطل من جذور النباتات، ورجت في هذه الأثناء أن ينعم عليها الرب بفضلها، فلا تقزع عند رؤية الميت. لأنها لم تكن قادرة على التعود على ذلك: الميت شاهد على عالم آخر، لم ترد أن تعرف عنه شيئا، طالما

أن النفس لم يختف من صدرها بعد. وعند نزولها إلى الحفرة، غضت النظر عن الأيدي الممدودة لها، حيث أنها كانت في الماضي من بين أجمل الفتيات، وكل رجل تجري الدماء في صلبه كان يرغب في لمسها أو مسها مسابرا أو في إرغامها على تقبيله أو أن يتلقم ثديها المكتنزين بفمه.

تقول، قلبي ليس لأحد، واتخاذي لهذا رجلا، لا يعني أي شيء، لأنه خطفني رغم إرادتي وجرحني، حتى أن أبي لم يجد مفرا من إعطائي له، ليس لدي أخوة، والثأر لا يؤخذ من الجبناء. نعود إلى حكاية الحفرة، هبطت ولأن رأس الميت كان بالقرب من الفتحة، سقط ضوء كاف للتعرف على ملامحه المشوهة، سقطت مثل جوال البنجر على الزاهد الميت. عندما فتحت عيني ثانية، كانوا قد حملوني بجهد مشترك، أنا متأكدة من أنهم لم يفوتوا على أنفسهم الفرصة للمس في مواضع أشياء الأنتى الثمينة، نحن لا نقول فرج، بل شيء ثمين، ولا نقول ثدي، بل شيء ثمين.

لقد كبر سني الآن ولذلك أستطيع أن أحكي ما أريد أمام الغرباء، ولكن فلنعد إلى طاقة المذنبين، لقد أخرجوا كل ممتلكات الميت، ولم يكن هناك بخلاف العظام المضعضة والملابس الملوثة بماء الميت، سوى هذه الطاقة من اللباد، وأنا طالبت على الفور بالحصول عليها، لم أحصل على أية نقود لقاء شهادتي لموته، هاهي الطاقة يمكنك أن تأخذها، هذه الغنيمة الأصلية ثمنها مائة دولار فقط.

لا بد أن لقديسة القرية المزعومة هذه طرق عدة للحساب، فهي تكتب أرقامها تحت بعضها وتجرحها ثم تدون مبلغا حسبما يملي عليها إحساسها. الجرس المعلق ينشر السوء، لكنه معروض كبضاعة. أنا أعتقد في صحة حكايتها بأن الناس هنا يُمنعون بالقوة من التخلي عن أراضيهم، يعتقد الناس في خضوعهم لتأثير شرير، وإنهم يُفنون الأحياء. أقول لها، لا بد لي أن أفكر في الأمر، سأقوم بجولة في القرية وأعود بعد ساعة. ترد، أتريد أن تتخلص؟ لا رغبة لي في أن أنتظر دون جدوى. إن لم تكن راغبا في الشراء، قل لي ذلك، سأغلق الدكان ولنذهب إلى حيث تريد، ولكل منا طريق السلامة. أقول، يا امرأة، أمسكي عليك لسانك، أم أنك تريدين التشاجر معي؟ تجيب، لا، اللهم إذا أراد السيد ذلك.

وأثناء إزاحتي للستار الواقعي من الذباب وخروجي، يهرع تاجر العاديات إلي ويعطيني شوكة البهائم. يقول، الكلاب يا سيدي، لا أحد يعرف أين يتربصون بالمرء، ضربة واحدة على فروتهم ويدركون عندئذ مدى قوتك.

أواصل سيرتي. يقوم صبي يرتدي بوطا مطاطيا بسلخ شاة ذبحت للتو، يثبت في مكانه وينظر إلي بقسوة، فعديمي الإيمان لا يستحقون لديه تحية ولا لحما، إنه ينتظر فقط أن أختفي من أمامه. في حوض الترعة الجاف تتعثر جديان في أحواض زرع قام المزارعون بإحاطتها بالعصي. تتساقط كيزان الصنوبر من شدة الحرارة تحت الأشجار. قطع من صخور الغرانيت التي شظفتها الرياح والتقلبات الجوية تنتثر بالمئات على الأرض الصلبة ذات الدرجات البنية المحروقة، تنتشر الحجارة في الحقول والغابات وحدائق بيوت الفلاحين. ساد الرخاء هنا منذ فترة وحول أقنان الأرض إلى ملاكها. أكمل طريقي وأجد نفسي أمام حديقة مقهى. أمر عبر بوابة بحاجز دوار ويقودني رجل عجوز يرتدي فانلة بيضاء إلى طاولة تحت

شجرة بلوط. على الفرع الأضخم منها علقت لافتة خشبية موسوم عليها نبوءة قديس القرية المعروف بتشاؤمه من المستقبل: "إننا ننظف. ستقودنا أوساخ نهاية العالم!". أطلب ماء باردا . كل الموائد يجلس عليها رجال تبدو أذرعهم المحيطة بالأطباق وكأنها في وضع الدفاع ضد هجمات الجوعى، يعضون ويحدقون بنظراتهم. ليس هناك ما يمنعهم من التحديق والاستمرار في بلع طعامهم، لديهم مناشف ورقية معلقة في ياقات ستراتهم، شيء يسير من آداب المائدة. النادل الصبي يجلب دورق ماء وكوب، يتأمل شعري من جديد، ثم يغلق سبابته وإبهامه على شكل دائرة ويضرب أنفه بهما أنفه عدة مرات.

أقول له، اغرب عن وجهي، سأكسر لك عظامك، سأكسر لك أصابعك واحدا تلو الآخر، سأقطع لك كل أصابعك وأضعها كلها في ثقب أمك العاهرة. ويرد، ليس أنت من يفعل ذلك، من أنت لتفعل؟ لو لم تحذر، فباستطاعتي أن أنطق بلعنة قديسنا وعندئذ لن يكون بإمكانك أن تقوم من مكانك، ستتحول إلى تراب، صدقتي. أقول، لديك ندبة جميلة على جبهتك، سأسوي لك أخرى بجانبها وتستطيع بخلفتك هذه أن تصنع مستقبلا لنفسك، ستقف في السوق وتحكي لهم حكايتك. من كان حظه أسود سيلقى لكمة في وجهه.

يقول، ليس أنت من يفعل ذلك، انتبه كي لا يمسكونك من شعرك الحريري ويجرونك عبر القرية. يصفر له الرجل ذو الفانلة البيضاء، وللحظة يبدو الصبي مترددا، إن كانت طاعته لولي نعمته ستفسر وفقا لعرف الرجال على أنها جبن. انتبه بعض الفلاحين إلي، يرفعون رؤوسهم، لكن أذرعهم تبقى في مكانها. يهرع الصبي إلى مائدة أخرى، ويجمع أكواب الشاي. أملاً الكوب ذا الحافة المتسخة بالماء، ثم أسكبه وراء ظهري وأضع الدورق على فمي. أفرغه وأتوجه بخطواتي نحو الحاجز الدوار. اتخذ طريق العودة نفسه. يمارس الجزار عمله ولا يضيع وقتا في النظر إلي. أدخل إلى دكان العاديات، وبداء لي وكأن "قديسة القرية" لم تتحرك من مكانها، ليس لدي مزاج لتحيتها. يجلس تاجر العاديات صامتا على كرسيه. تقول "قديسة القرية"، لقد وفي السيد بوعد، مرحبا مرة أخرى، وما هو قرارك؟ أقول، أنا أريدها وسأرفع الثمن إلى أربعمائة. يقول تاجر العاديات، أربعمائة يعني أقل من النصف لكي نكون على بينة، لن يكون لنا مكسب فيها إذن ولن يكون لدى صاحبة الملاء رغبة في الاستغناء عنها. نحن لسنا ممرا لتصريف بضائع الآخرين، من أين نعيش إذن؟ وترد هي، كل ذلك لا يعني السيد، فليس لديه سوى مبلغ محدود، وأنا لست مخولة بتخفيض السعر.

تصمت. لن تجدي محاولة التأثير عليها. أسألها، ما هذا الوشم؟

تجيب، تقليد قديم، كان سني ساعتها ستة أعوام، بدأ القديس يحدث شقوقا في جلدي ويضع هذا السائل المغلي بسن إبرة، لقد صنع المعجون بنفسه. عندما سمع بأن امرأة أنجبت طفلة، ذهب إليها وطلب منها حليب الأم ووضع عليه رماد فرن حجري، ومزج فيه طحال حيوان مع قشور جوز مطحونة وشيئا من الحنة. وأخذ وقتنا طويلا في تزييني لأن في ذلك رحمة. بعد الزواج لا يسمح للنساء بعمل الوشم، أعتقد أن القديس كان يقدر مفاتيحي جدا، لكن لم يكن مسموحا له أن يتزوج امرأة أخرى. لقد جعلت زوجاته حياته جحيما. أسألها، هل هذا القديس هو الزاهد؟

رد تاجر العاديات، لا الزاهد كان رجلا صالحا أيضا، لكنه تركنا وانصرف عنا ونحن نعرف إلام صارت الأمور.

تقول هي، لا تتحدث بسوء عن ميت، لدي كل الأسباب التي تجعلني غاضبة عليه، أي صلاح هذا، لكنني لا أتحدث. حينما كان بالمدينة كان يريد أن يجلسنا نحن الفتيات على حجره ويؤرجحنا، وكان يؤرجحنا حتى يبتل ما بين خاصريه، انظر، لقد تحدثت عنه بسوء. يا سيدي الشاب لو دقت النظر في طاقية المذنبين سنتبين أن بها فتحتين للنظر، كان الزاهد يتطلع عبرهما. يبقى الإنسان حتى موته فضوليا، ويبحث عن الموت لأنه ينفجر من كثرة الفضول ولا يمكنه أن يتوقع تخطي الحدود.

أجيب، نعم، غالبا أن الأمور تسير هكذا، لكن عملي يقتصر على التقليل من فضول البشر وإرجاعهم إلى الحياة.

يسألني تاجر العاديات، ما هي مهنتك؟ وعندما أقول له إنني طبيب، ينظر إلى "قديسة القرية" ويبدأ في فرك ظهر يده كالمجنون. وفجأة ينحسر التوتر، وتبدأ المرأة السمينية في تسوية شعرها، وكأن عليها أن تقابل سيذا حقيقيا. وتقول، أنت إنسان جيد، أنت جيد، لو كنا نعرف، لاستقبلناك استقبالا أفضل، ولكننا تحدثنا معك بما يناسب مقامك ووظيفتك. يحل بنا متشردون ويظنون أن بإمكانهم خداعنا وأنا لا نعرف قيمة وثائقنا التاريخية. وهذا ما يغضبنا. يغادر تاجر العاديات المكان مسرعا قائلا بأنه سيعود على الفور وأن على السيد أن يأخذ راحته، فبيتهم، بيتي.

تقول هي، أنت إذن طبيب، هل قمت بتوليد أمهات؟

لا، هذا ليس تخصصي، أنا ممارس عام.

تقول، لقد شهدت ذات مرة عملية ولادة، وقفت بجانب القابلة وفزعت من رؤية وجه الرضيع المبلل الشنيع. بعض الأطفال يأتون بهذه السحنة إلى العالم، البعض الآخر تتشكل لديهم فيما بعد. أوضحت لي القابلة أن الرضيع لم يكن له مكان تخزين كاف في جسم الأم الكبير.

أقول، مكان تخزين كلمة جيدة، إنكم فلاحون رائعون.

ترفع "قديسة القرية" رأسها وتتأكد من أنني لا أريد إهانتها بهذا الكلام. تبتسم بتكلف وتكشف عن أسنانها الذهبية. سيدة الزخرف. على أرفف خزانة الحائط توجد أكاليل من نوى الزيتون والتمر، سلطانيات كريستال مكسورة، عدسات، مونوكلي، أطر نظارات، ساعات يد بلوحات أرقام غير سليمة، سلاسل فضية وعلب لأقراص الأدوية علاها الصدا. لا بد أن عمرها فاق عمر كثير من جيرانها وقد اشترت ما تركوه أو ضمته إلى حيازتها.

على أحد الأرفف اكتشف مجموعة من تماثيل إفريقية: لا بد من فعل شيء لمواجهة الانهيار، حتى ولو كان ذلك من خلال كراكيب من بيت الميت.

يدخل تاجر العاديات مندفعًا بخطى حازمة ويجر وراءه فتاة، لا بد أنه أفاقها من نوم عميق.

تنظر بحيرة فيما حولها، وبإشارة من "قديسة القرية" تجلس بجوارها على خزنة العرس.

رموشها الطويلة كانت موشاة بكحل كثير. وتنورتها وصل طولها إلى قدميها العاريتين.

وعلى كرايش سترتها خيبت رقع دائرية. لم تتمكن الفتاة من منع نفسها من التثاؤب إلا

بجهد جهيد. ضغطت على أسنانها وبرزت عضلات المضغ في فمها. شفتها السفلى موشومة:

نقش مكون من شرطة ونقطة يمتد ذقنها لأسفل ويخفي تحت ياقة بلوزتها.

سيدي، تقول قديسة القرية، هذه حفيدتي، خلقها الله بهذا الجمال، كل النساء من نسل عشيرتي لديهم ما هو جدير بالرؤية. لا أستطيع أن أواخذك لو تسمرت نظراتك عليها، لأن شباب القرية يصابون باضطراب شديد عند رؤيتها. ذات مرة ودون تشجيع مني قام صبي في أحد الأعياد بالتشاجر بسببها وضرب في آخر المطاف.

نحن لا نتركها تغيب عن أعيننا، لكن إلى متى ستظل تعيش هكذا حياة المساجين؟ إضافة إلى أنها ساخنة. كلماتي تربكها، أنت طبيب وتعرف ما أعني. في العام القادم ستتم الخامسة عشرة، بعدها يجب أن تتزوج وإلا لأذنبنا في حقها.

توقفي عن هذا الكلام المشين، تقول الفتاة، لست بحاجة إلى الدعاية من أجلي.

ترد السمينية، السيد لم يتعرف عليك بعد، ربما يرغب في أن يكتشف بعض أسرارك، ربما يمنعه وجودي. أنت غير متزوج، هل هذا صحيح؟

أقول، نعم لم يكن لدي وقت لذلك.

يقول تاجر العاديات، عذر سيئ، من يرغب، يستطيع الزواج، ويجاري عصره. لسذاجة العبارة تتأفف السمينية، وتومئ بذقنها في اتجاه الباب، يقفان وقبل أن يخرجوا، تقول: سنعود بعد نصف ساعة. يمكنكما أن تأخذا حريتكما في الكلام.

كانت الفتاة تنتظر ذهابهما بفارغ الصبر: فبمجرد أن أدركت أنها تخلصت من سلطتهم التربوية، بدأت تهرش في مشط قدمها.

تقول، شعرت بحكة شديدة ولكن كان علي أن أتماسك وإلا لتلقيت لكمة منها، أنت لا تعرفها جيدا، ستعنفني كثيرا، لأنني كدت أن أتناهب، ماذا بيدي أن أفعل إزاء ذلك؟ دخل ذلك الرجل إلى الغرفة وقرصني في ذراعي. كدت أموت من الفزع، ربما لاحظت أنه معتاد على القرص والفرك، أليس كذلك؟

أقول، نعم، هل هو مصاب بمرض جلدي؟

تقول، أين كان يفرك؟

أقول، هنا وأشرت إلى موضع على ظهر اليد.

ترد، آه، لهذا علاقة بنا نحن الاثنين، إنه نوع من السحر عن طريق الفرك من المفترض أن يجمع شملنا. وهو ينجح في أغلب الأحيان في ذلك، وتعزي جدتي هذا النجاح على أنه من صنعها. كم هو عمرك؟

- عمري ثمانية وثلاثون عاما، بيننا أربعة وعشرون عاما.

- تبدو شابا، هذا لا يلعب دورا بالنسبة لي.

- ما هذا الذي لا يلعب دورا؟

- إذا أخذتني زوجة لك، سأكون زوجتك وتستطيع ضربني وتربيتي، إذا ما خالفت تعليماتك، لا بد أن تلقني إياها وبعدها أحافظ على اسم عائلتك أيضا بشرف.

- أنا لا أضرب أية امرأة، لا أفكر في ذلك ولا في الأحلام.

اكتشف نفسي متلبسا بمحاولة كسب قلب الفتاة، دون أن ألاحظ شددت جسمي وسحبت بطني، وأحسست فجأة أنني مهتم بالأشياء التي تشعرت أنني منفر جدا. تلتقت الفتاة في جلستها إلي وتفتح زري بلوزتها العلويين، عندئذ أرى أن خط الوشم يتفرع عند عظمة القص، وتقول: بشرتي نضرة. وعندما ظننت أن الخطيب قد رأى ما فيه الكفاية، أغلقت زري البلوزة ثانية. المرأة تلك المرأة.

أقول، كيف ستسير الأمور من بعد؟ لقد قدموك إلي، وأنت فعلا جميلة جدا، وهم يريدون أن يتخلصوا منك.

وترد، لقد سمعت ما قالته جدتي، بأنني في سن أحتاج فيه إلى رجل قوي، لا أريد تبديل سجن بأخر، عندما يحملق الشبان في هنا، أعرف ما ينتظرنني: إنهم يريدون أن يقودوني إلى بيوتهم مثل بردعة حمار، وأن يغلقوا علي الباب في زريبة أفضل.

أقول، وهل أنا مختلف عنهم؟ أنت لا تعرفيني مطلقا.

تقول، لا بد من أن أخرج من هذه القرية. لن يستغرق الأمر وقتا طويلا حتى أقع في غرامك، وأنا كفيلة بالألا أجعلك تتظر إلى امرأة أخرى. النساء كثيرات كرمل البحر، لكن يجب عليك أن تختار الاختيار السليم، وإلا فبإمكانك من الآن أن ترندي طاقية الزاهد.

أريد أن أجيها وأن أعجب من ثقتها الشديدة بي، وأسألها، كيف تريد بدون سابق معرفة أن تنتقل إلى رجل غريب لا تعرفه، لكن في هذه الأثناء سمعت بالخارج صوت "قديسة القرية" المتحشرج. يبدو صوتها وكأنها اقتنصت دودة بمنقار حاد. يتدخل تاجر العاديات بتحذيرات قصيرة، وعندما أنظر للخارج عبر الأشرطة البلاستيكية التي نفختها الريح أرى كيف أنه كان يحاول منع رجل ضخم من الدخول. تمسك "قديسة القرية" بالرجل من ذراعه، بدفعة واحدة يتخلص منهما ويصبح في ظرف لحظة داخل الدكان ويتبعه مباشرة النادل الصبي، ثم تاجر العاديات والسمنية.

تقول الفتاة، هذيان سكرك سيقهلك، هنا ليس مكانك، إنك تصيبي بالتعاسة، اغرب عن وجهي في الحال.

ألاحظ أن الرجل يعيش في عالمه وغير قابل لتلقي أية نداءات من الخارج. عمله لسنوات في أحد المحاجر قد ظهر على جسمه. فهو قادر أن يقتل شخص بلكمة واحدة أو أن يُخرس جمعا من الناس، إذا رفع يده مهددا. يبدو أن النادل الصبي قد خطف شوكة البهائم من تاجر العاديات وأخذ يضرب بها على جنبه حتى منعه "قديسة القرية".

قال عامل المحجر، أنا أحق بك، لا يمكن لهذا المزوق أن يأتي مختالا ويأخذك. تتظر الفتاة بعيدا، ولا يجرؤ أحد على أن يرد بأي كلام، ساد صمت تام، حتى أمكن لي سماع صوت سقوط كيزان الصنوبر من الأشجار في الخارج. بين إغلاقي لعيني وفتحها أرى النادل الصبي ينضم إلى عامل المحجر، يفتح فمه، ويسحب بثلاثة أصابع من تحت لسانه نصف قطعة من شفرات الحلاقة، وقبل أن يتدخل أحد ينكفأ ويمزق بحركات سريعة ملاءة العرس. يقف ثانية ويرمي شفرة الحلاقة، تخفي "قديسة القرية" وجهها بيديها. ومن أعماق جسدها تخرج ولولة حانقة، ويذهب تاجر العاديات إلى الفتاة التي أولت ظهرها ويربت على رأسها.

يقول عامل المحجر، أيها المزوق عليك أن تتصرف فورا، لقد وجدت طريقك إلى قرينتنا وستجد طريقك للخروج منها، أو هل يتوجب علينا أن نرافقك؟

أقول، ليس ضروريا.

أخرج من الدكان وأعتمد على بوصلتي الداخلية التي سنقودني إلى خارج المكان، وكما أعرف حظي في مثل هذه الأيام، فلن يصيبيني حجر مقلاع ولن يهاجمني كلب.

## فهرس المحتويات

### الدنيا

11.....	1	خمسة قلوب خافقة عندما يتطاير الحب
33.....	2	جسد غريب
39.....	3	إقتصاد الشهوة الجنسية
66 .....	4	حب الأصنام
67 .....	5	سين العدو
48 .....	6	دعاء (1)
92 .....	7	دعاء (2)

### الآخرة

105.....	8	جلود
122 .....	9	مجاهدون
157.....	10	الكركي فوق الحصى وثقرات الماء
191.....	11	خبز النسول
208.....	12	خدمة حب